



لا شك أننا لم نثر بإرادة منا أو بدفع من غيرنا، ولكننا وجدنا أنفسنا تأثيرين اضطراراً فاخترنا لثورتنا ما يتاسب وإمكاناتنا. ولكن نستمر فيها بصورة فعالة علينا ألا ندع مجالاً للوساوس أو المصاعب أو الإرجاف أن ينال من عزائمنا أو يثبط هممنا أو يؤيّسنا من مستقبل ثورتنا. وربما كان هذا الأمر أهم من إعداد العدة أو جمع العتاد.

إن بناء نفس التأثير أهم من بناء سواعده وأفكاره، ذلك أن نفسيته هي التي تبدد الأوهام وتغلب على المصاعب، وحين ينبع الناعقون أو يرجف المرجفون من هنا أو هناك محللين ومنظرين حول المؤامرة العالمية الكبرى التي يحيكها العالم أجمع تارة لتثبت الأنظمة الطالمة وذبح تلك الشعوب المقهورة، وأخرى لسرقة الثورات المباركة من أيدي الثوار المناضلين لتقع في أيدي الشرق أو الغرب أو في أيدي المتآمرين من أتباع الأنظمة القهرية، وكأنني أقول في نفسي ويقول غيري: فلماذا أثور طالما أن العالم كله يقف في وجهي ويتأمر على ثوري، وإن لم يكن كذلك فإنه سيخطفها من كفي الناعمتين إلى كفيه الغليظتين؟؟

وأنا لا أقول إن علينا أن نأمن على ثورتنا أو نركن إلى العالم الذي لا يهمه أمرنا ولكنني أقول: إن الذي زرع في نفوسنا منذ أن عرفنا الدنيا كراهية الشرق أو الغرب وأن بيننا وبينه حرباً أبدية وكونية نجيش من أجلها الجيوش وتلغي بسببها مشاريع بناء الإنسان ومدنية هو ذلك الغادر الذي لم يسرق لنا ثروة أو نفطاً بل سرقنا جميعاً ظاهراً وباطناً، إنساناً وحيواناً، سماءً وأرضاً، إنه هو ذاته وهاهي ذي دباباته ومجنزراته التي أوهمنا بأنها للدفاع عنا تقتل ما تبقى من نفوسنا وتهدم ما عاف من أطلالنا.

علينا أن نؤمن أنه لا يوجد لنا على هذه الأرض عدو مطلق غيره، ولا كاذب أفاك مثله، ولا خائن محثال نحوه. وكما أن لنا أعداء كثيرين فإن لنا أصدقاءً كثيرين تغيرهم حونا المصالح وتقربهم المنافع، وللناس جميعاً عندنا مصالح جمة، وصلوات قديمة، وعندما نثق بأهميتنا وأهمية أرضنا ووطننا فعلينا أن نثق بأن العالم يبحث لنفسه لدينا عن منابت لزرعه ومصانع لإبداعاته.

بل ربما أكاد أجزم أن العالم الأول كان سياسياً سازجاً عندما انطلقت عليه حيل من كان يسميهم أصدقاء، لم يفدهم لنفسه بقدر ما أفادوه لأنفسهم، إننا نملك ثروات مختلفة مادية ومعنوية ستجعل العالم كله يبحث لنفسه لدينا عن تحالفات وصلوات أهمها ثقتنا بأنفسنا وتاريخنا المجيد مما سيجعلنا ننشغل بواجباتنا تجاه ثورتنا أكثر من اشغالنا بخطر سقوطها

أو سرقتها، ولقد عاش أبطالنا الأول حقيقة الثقة من خلال اعتزازهم بأنفسهم وإنصاف أعدائهم، وعدم الانشغال بجلد ذواتهم أو إظهارها تارة جبارة وأخرى مظلومة ونحو ذلك.

واسمع إلى أمثلة من البيان القرآني في هذا الجانب، قال - تعالى - : {إِنَّ يَمْسَكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتَلْكَ الْأَيَامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}، {إِنْ تَكُونُوا تَائِلُمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}، {الْمَ, غُلَبَتِ الرُّومُ, فِي أَنَّى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}، {إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ}، {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَئْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}،

وأخيراً فلست أقول هذا الكلام إلا خشية على نفسياتنا ونفسيات الثوار من أن يصيبيها الملل أو الإحباط، خصوصاً وأن الثورة قد طالت وأنها تواجه حلفاً عريضاً ضالعاً في القهر والخداع، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الحرب خُدُعَةٌ))، ويقول: ((رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً)).

المصادر: